البراهين الانجيلية

على

أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له في الالوهية

بقلم

الاستاذ الدكتور

محمد تقي الدين الهلالي

المدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

وفقه الله وعفا عنه

مطابع دار الثقافة ـ مكة ـ الزاهر
عـــام ١٣٩٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

« البراهين الانجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولا حظ له في الالوهية »

بقلم الاستاذ الدكتور محمد تقي الدين الهلالى

الحمد لله ذى العزة والجلال المنفرد بصفات الكمال لم يلد ولم يولد وماله من ند ولا مثال بل هو الكبير المتعال ، أرسل رسله ليدلوا الناس على افراده بالعبادة ، ويحذروهم من الشرك المفضي بهم الى الابادة وصلاته وسلامه على جميع الانبياء والمرسلين خصوصا محمدا خاتم النبيين وعلى جميع من اتبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فقد كتب الي تلميذي السيد منذر اسماعيل الدروبي البغدادي الذي كان يدرس الهندسة في احدى جامعات الولايات المتحدة منذ أربع سنين تقريبا وأخبرني أن

النصارى تجمعوا عليه وأخذوا يجادلونه في الدين ويتطاولون عليه فلم يدر ما يجيبهم به ، فألفت له هذا الجزء وسميته (البراهين الانجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولا حظ له في الالوهية) وأعطيته أرقام الآيات وفصولها من الاناجيل الاربعة ليستخرجها بالانجليزية ويدافعهم بها بعدما يفهم ما شرحت له بالعربية ، فعكف على الرسالة حتى قتلها فهما ودعاهم للمناظرة فلما ناظرهم أفحمهم وهزموا شر هزيمة فيما أخبرني به بعد ذلك .

وسأعقب هذه الرسالة بقصة أخرى مشابهة لها وقعت في بغداد وكانت النتيجة كالنتيجة المتقدمة الذكر ولا يعوز المسلم البرهان على صحة دينه ، وفساد دين أعدائه ، ولكن الذي يعوزه الاخوة الصادقون الذين ينصرون الله ورسوله ، وصدق من قال : أن الاسلام في هذا العصر دين بلا رجال ، وأن النصرانية

رجال بلا دين ، فبجهودهم وأموالهم وشجاعتهم وصبرهم يجعلون الحق باطلا والباطل حقا ، وأكثر البشر في هذا الزمان عبيد الدينار والدرهم ، والثياب الفاخرة ، والقصور الشامخة ، وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود ، لا اله الا هو عليه توكلت واليه أنيب .

اقرأ من أول الفصل الرابع من انجيل متى الى الرقم السادس والسابع ، ففيهما التصريح بأن عيسى عبد ، والله سيد ورب، لقوله في الآية السابعة، قد كتب أيضا (لا تمتحن الرب الهك) وفي هذا الفصل نفسه أن الشيطان حمل المسيح وأخذ يطوف به من مكان الى مكان ، فكيف يستطيع الشيطان أن يحمل الرحمن ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ثم أمره الشيطان أن يسجد له ويعبده وأطمعه بمال الدنيا ، فكيف يتجرأ الشيطان

على الله بمثل هذه الجرءة ، ولما أراد منه الشيطان ذلك أجابه المسيح بقوله ، قد جاء في الكتب السابقة (لا تسجد الا للرب الهك) وهو وحده تعبده أنظر الآية العاشرة لم يسم المسيح نفسه ابن الله ، فيما أعلم ، وانما كان يسمي نفسه ابن الانسان ، الا أنه سمع تسميته بذلك فلم ينكرها ـ بزعم الاناجيل ـ ولا خصوصية له في ذلك ·

ففي لغة التوراة والاناجيل ، كل تقي بر يسمى ابن الله وفي الآية التاسعة من الفصل الخامس من انجيل متى طوبى لصانعي السلام ، لانهم أبناء الله يدعون ، وجاء في الفصل نفسه رقم ـ ٤٥ ـ لتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء ، وفي رقم ـ ٤٨ ـ فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذي في السماء كامل ، وفي الفصل السادس رقم ـ١ـ والا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماء ·

وفي الفصل السابع رقم ـ ٢١ ـ ترجمة كلمة (لورد **LORD**) هنا بلفظة رب) ايهاما للناس أن المسيح هو الله ، ولكن من تأمل بقية الآية يجدها تشهد على المسيح بالعبودية ، فالترجمة الصحيحة هكذا (ليس كل أحد يقول لي يا سيدى يدخل ملكوت السماء ولكن الذي يفعل ارادة أبي الذي في السماء) انتهت ترجمة الآية ، وقد تقدم أن اطلاق الاب على الله جاء في مواضع لا تحصى في الانجيل ، وليس خاصا بالمسيح ، وجاء في الفصل ـ١١ـ رقم ـ٢٥ـ (أحمدك أيها الرب رب السماء والارض ، لانك أخفيت هذه الاشياء عن الحكماء والفهماء والهمتها الاطفال) ، وفي الفصل الرابع عشر رقم ـ٢٣ـ (وبعدما صرف الجموع صعد الى الجبل منفردا ليصلي) أقول : اذا كان هو الله أو جزءا من الله ، فكيف يصلي فالصلاة لا تكون الا من العبد الفقير المحتاج الى رحمة

الله كما قال تعالى في سورة فاطـــر ـ١٥ـ (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو ألغني الحميد) ، وقال تعالى في سورة مريـم (ان كل من في السمـــوات والارض الا آت الرحمن عبدا) .

وفي الفصل الخامس عشر من رقم ـ٢١ الى ٢٨ـ قصة المرأة الكنعانية وفيها أمـــور ، الاول نفي الرحمـة والمحبـــة عن عيسى ، لو صحت الحكاية ، الثاني التعصب الممقوت بحيث يعالج أبناء قومه ، ولا يعالج غيرهم ، مع أنه لا يخسر شيئا ، الثالث التكبر القومي والا فتخار بالنسب وانتقاص الآخـريـــن وجعلهم كلابا ، الرابع أن امرأة مشركةجاهلة ناظرته فغلبته .

وفي الفصل التاسع عشر رقم ـ١٦و١٧ـ أن شابا جاء الى المسيح فقال له (أيها الرجل الصالح ، فقال لـه لـــم تسميني صالحا ؟

لا صالح الا الله) وفي هذا اعتراف بالعبودية أيضا .

وفي الفصل -٢١ رقم ٤٥و٤٦- لما أرادوا أن يقبضوا عليه خافوا من الجموع لانه كان عندهم نبيا ، ففيه دليل على أن جموع المؤمنين بعيسى في زمانه لم يكونوا يعتقدون أنه اله أو ابن الله أو أحد الاقانيم الثلاثة ، بل كانوا يعتقدون أنه نبي فقط ، وهذا من أقوى الحجج على القائلين بألوهيته لو كانوا يعقلون

وفي الفصل -٢٣- رقم -٨- (أما أنتم فلا تدعوا أحدا سيدكم ، فان سيدكم حتى المسيح واحد) ففيه دليل على أن جموع المؤمنين بعيسى في زمانه لم يكونوا يعتقدون أنه اله أو ابن الله أو أحد الاقانيم الثلاثة ، بل كانوا يعتقدون أنه نبي فقط ، وهذا من أقوى الحجج على القائلين بألوهيته لو كانوا يعقلون .

وفي الفصل ـ٢٣ـ رقم ـ٨ـ (أما أنتم فلا تدعوا أحدا سيدكم ، فان سيدكم حتى المسيح واحد) ففيه دليل على أن المسيح عبد وأن السيد واحد وهو الله ، وقد ترجموا هذه الآية بالعربية وحرفوها على عمد ، فأوهموا أن المسيح هو السيد ، أما الترجمة الانكليزية فهي سالمة من هذا الفساد ، وفيه أيضا رقم ـ٩ـ (ولا تدعوا لكم أبا على الارض ، لان أباكم واحد وهو الذي في السماء) ، ومن ذلك تعرف ان الابوة البنوة بمعنى العلاقة بين الرب والعبد ثابتة في الانجيل في جميع الناس ، لا خصوصية للمسيح في ذلك ، وفي الفصل ـ٢٤ـ رقم ـ٣٦ـ (أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد من الناس ولا ملائكة السماء ، ولكن أبي وحده هو يعلمها) فهذا دليل قاطع على أن تلك الساعة لا يعلمها أحد الا الله ، ففيه دليل على أن علم المسيح قاصر كسائر

البشر ، والله وحده هو الذي أحاط بكل شيء علما .

وفي الفصل ـ٢٦ـ رقم ـ٣٩ـ فيـــه أن المسيح (خر ساجدا للـــه) وقال يا أبت ان أمكن أن تصرف عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت ان ثبت هــذا فان الشخص الذي قاله كان جاهلا بقــدرة الله ومعترفا بأنه عبد الله وهو الذي يتصرف فيه ، وفي الفصـــل ـ٢٧ـ رقـــم ـ٧و٨ـ فتشاوروا واشتروا بها أرض الخازف لاحراق جثث الغرباء فيها ولذلك سميت تلك الارض أرض الدم الى هذا اليوم ، ومن هذا نفهم أن الانجيل لم يكتب في زمان المسيح وانما كتب بعده بزمان طويل مــن الحكايات التي كانت عالقة بأذهان الناس ، وفي رقم ـ٤٦ـ (أن المسيح بزعمهم صاح بأعلى صوته وهو على الصليب يا الهي يا الهي لما أسلمتني) وهذا من أعظم الادلة على أن الذي قال هذا الكــلام

ليس من المؤمنين بالله فضلا عن أن يكـون من أنبياء اللــه ، لان اللـــه لا يخلف وعـده وأنبياؤه لا يشكون في وعـده ، وفي انجيـل يوحنا الفصل ـ١٤ـ رقم ـ١٥و١٦ـ (ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الاب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكـم الى الابد) ٠

قال علماء الاسلام وهذا المعزى الآخر هـو محمد رسول الله وبقاؤه الى الابد معناه بقاء شريعته والكتاب الذي أنـزل عليـــه ، وفي الفصل ـ١٥ـ رقم ـ٢٦و٢٧ـ مـا نصـه : (ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا اليكم من الاب روح الحق الذي من عند الاب ينبثـق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضا لانكـم معي من الابتداء) ٠

وفي الفصل ـ١٦ـ رقم ٥ الى ٨ ـ (وأمـا الآن فأنا ماض الى الـــذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي ؟ لانــي قلت

لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم لكوني أقــول لكم الحق انه خير لكم أن أنطلق لانه ان لــم أنطلق لا يأتيكــم المعـــزى ولكن ان ذهبت أرسله اليكم ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية على بردينونة) ومـــن ـ١٢ الى ١٤ـ (ان لي أمورا كثيرة أيضا لاقول لكــم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه ، بل كــل ما يسمــع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية • ذاك يمجدني لانه يأخذ ممالي ويخبــركـــم) ، و ـ١٦ـ (بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل أيضـــا ترونني لاني ذاهب الى الاب) •

قال علماء الاسلام : وهذه الصفات التــي ذكرها المسيح في الذي يأتي بعده لم تجتمع في شخص الا في محمد رسول الله ، وقد سمي هذا الشخص الذي بشر به المسيح في الانجيل (يارقليطا) وحذفها المترجمون المتأخـرون

وأبدلوها تارة بروح الحق ، وتارة بالمعزى وتارة بروح القدس وهي كلمة يونانية ومعناها الذي يحمد كثيرا ، وذلك ينطبق على لفظ محمد .

وفي الفصل ــ١٧ــ رقم ــ٣ــ وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك أنت الا له الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته ، وفي انجيل مرقس فصل ــ١٢ــ رقم ــ٢٨ الى ٣٠ــ وما بعده ما نصه : (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع : أن أول كل الوصايا هي اسمع يا اسرائيل الرب الهنا واحد وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك) هذه هي الوصية الاولى ، وفي رقم ــ٣٢ــ ما نصه : (فقال له الكاتب) جيد يا معلم قلت وقد نطقت بالحق لان الله واحد ولا اله غيره ، وفي رقم (٣٤)

قال يسوع لست بعيدا عن ملكوت اللـــه ، أقول : فقد شهد المسيح عليه السـلام بأن الله اله واحد لا اله غيره وأن من وحده فهـو قريب من ملكوت الله ، اذن فيكون من أشرك به أو جعله ثالث ثلاثة بعيدا عن ملكوت الله ومن كان بعيدا عن ملكوت الله فهو عدو الله

وفي الفصل ـ١٦ـ رقم ـ١٢ـ (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحـد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الأب) أقول : وقد تقدم مثل هذا من انجيـــل متى وهو عين ما نطق به القرآن في أن الساعـــة لا يعلمها الا الله وبذلك تثبت عبودية عيسى وتستحيل الهيته وتضمحل خرافة الاقانيم ، وفي الفصل ـ٢٠ـ رقم ـ١٦ـ من انجيــــل يوحنا قال لها يسوع (يا مريم فالتفتت تلك وقالت له : ربوني ومعناه يا معلـــم ، قــال يسوع : لا تلمسيني لاني لم أصعد بعد الى أبي ، ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني

أصعد الى أبي وأبيكم وآلهي والهكم ، فجاءت مريم المجدليه وأخبرت التلاميـــذ أنها رأت السيد وأنه قال لها ذلك) .

أقول ، فقد شهد المسيح أن اللــه الهـــه والههم ، ولا فرق بينه وبينهم في العبوديـة فمن زعم أن المسيح اله فقد كــذب المسيح ، وكذب جميع الانبياء والمرسلين .

« خاتمة في الادلة على أن قصة الصلب موضوعة »

الدليل الاول : أن الانجيل يشهد بأن عيسى كان معروفا عندهم ، وكان يخطب في المسجد الاقصى الذي كانوا يسمونه بهيكل سليمان ، فلا حاجة أن يستأجر اليهود من يدلهم عليه بثلاثين درهما .

الدليل الثاني : أنهم حكوا أن التلميذ الثاني عشر يهوذا (الاسخريوطي) أخذ من اليهود ثلاثين درهما على أن يدلهم عليه ، فلما دلهم عليه وقضوا عليه رد لهم الدراهم وندم وتبرأ من عملهم وخنق نفسه ، كل هذا وقع في أقل من أربع وعشرين ساعة ، وفيه متناقضات لا تخفى .

الدليل الثالث : وهو أعظمها ، بل هو وحده كاف في بطلان هذه القصة ، وذلك أنه عندما حكم عليه اليهود بالقتل وأرادوا موافقة

الحاكم ــ بيلاطس ــ وبعثوه اليــــه ، ففي الفصل ــ٢٧ــ من انجيل متى رقم ــ١١ــ أن الحاكم سأله فقال له هل أنت ملك اليهود ؟ فقال له أنت تقول ، ولما اشتكــــاه رؤســاء اليهود ورجال الدين عندهم بأنه كفر ، وقال في الدين ما استوجب به القتـــــل ، سألــه ــ بيلاطس ــ ألا تسمع الى ما يقولون ومــا يشهدون به عليك فأبى أن يتكلم أو ينطــق ولو بكلمة واحدة ٠

فسيؤل ذلك النصارى على أنه كان يريد الصلب لاجل فداء الناس ومغفرة ذنــوبهــم اذن فلماذا سأل الله أن يصرف عنــه تلــك الكأس ، يعني القتل ؟ ولماذا صاح وهو على الصليب يا الهي لماذا غدرتني ؟ كيف يسكت عن بيان الحق ولو لم تكن فيه تبرئة نفسه وأتباعه وتبرئة الحق وهو الفصيح اللسان الذي كان يخطب الخطب الطويلة ويملؤهــا

تقريعا وتوبيخا لعلماء اليهود لا يستطيع عاقل أن يصدق ذلك ، واذا بطلت قصة الصلب والفداء انهدم جميع ما يبني عليه النصارى عقيدتهم من الاساس .

« تعصب النصارى وعدوانهم على المسلمين »

ذكرني ما قرأته في صحيفة ـ الميثاق ـ الغراء من تعصب النصارى وتعسفهم ونظرهم للاسلام بعين حولاء تعكس المرئيات ، وتقلبها رأسا على عقب ، ذكرني بما حصل لي من ذلك ، فمن ذلك أني كنت في الهند أستاذا في كلية (ندوة العلماء) بدعوة من السيد سليمان الندوي والدكتور عبد العلي ـ رحمهما الله ـ ورأيت أنه لا بد لي من تعلم لغة أجنبية اذ لا تتم الثقافة في هذا العصر بدون تلك ، واللغة السائدة في الهند هي ـ الانكليزية ـ فبدأت أتعلم اللغة الانكليزية من تلاميذي وغيرهم ، فظهر لي ـ وأنا بعد في البداية ـ أن لغة أهل الهند ـ الانكليزية ـ لا تتفق مع نطق الانجليزية وفصاحتهم فذهبت الى ارسالية نصرانية صاحبها كندي والتمست منه أن يعطيني دروسا في اللغة

الانكليزية وأدفع له الاجرة ، فقال لي : أنـا لا آخذ أجـرة ولكـــن اذا التزمت أن تحضر مجالس الوعظ التي ألقيها في الارساليـــة تتقدم في اللغة الانكليزية ، فقلت له : أنا لا أزال بعد مبتدئا لا أفهم الوعظ ، فقال لـــي أحضر وأنا أعطيك ثلاثة دروس في كلأسبوع مدة الدرس الواحد نصف ساعة ، فالتزمت الحضور وكان رجلا كهلا قد تجاوز الخمسين وليس عنده نشاط ولا تحمس للدعوة ،وانما يسعى للمعيشة فلم يستجب له الا قليـــل ، ولم يكن يحضر دروس وعظـــه الا ثلاثــة أشخاص وزوجته الرابعة فصرت أنا الخامس فلما كان رأس السنة الميلادية وما يسمونه ـ عيد الميلاد ـ نشر اعـــلانات في الصحف وأنه سيعرض قصة حياة عيسى بن مريـــم وسيرته بالفانوس السحري ، فحضر كثيرمن الناس حتى امتلأت الارسالية، ودعا قسيسا آخر يساعده في الوعظ ، فكانا يتعاقبان على

منصة الوعظ وشرح الصـــور حتى انتهى الاحتفال فهجم علي القسيس الآخر ، وهـو شاب من الولايات المتحدة الامريكية اسمـه (سميث) وكا نذلـك سنـــة ١٣٤٩ هـ ، الموافق ١٩٣٠ م .

فقال لي (سميث) أنت مسلم ؟ قلت نعم، فقال لي : ان محمدا لم يكن يعرف التاريخ ، فقلت له : وكيف عرفت ذلك ؟ فقال لي : انه قال في القرآن في سورة مريم ـ٢٨ـ (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) فقلت له : أنت لا تبلغ في العلم بمكايد النصارى ولا في عدواة الاسلام مثل ما بلـغ (جورج سيل) أول من ترجم القرآن الكريم بالانكليزية وقد قال في حاشية ترجمته لهذه الآية : انما يعترض بـه أصحابنا النصارى على ما جاء في هذه الآية ساقط ، لانه لم يفسر أحد من المسلمين (هارون) المذكور هنا بأنه أخو موسى ، حتى يقال : أن بين زمان موسى

وأخيه هارون ، وزمان عيسى وأمه قرونا كثيرة ، قال : أن السيد أحمد خان مؤسس جامعة ـ عليكر الاسلامية ـ سلم هذا الاعتراض ، فقلت له أنا لا أعترف بالسيد أحمد خان ، ولا أعرفه ، وقد سمعت الجواب على لسان أحد أسلافك في عداوة الاسلام ، فما بقي لك كلام .

فقال لي ، وفي القرآن تناقض ، فانه يقول في سورة المائدة ـ٤٧ـ (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) ، ويقول في سورة آل عمران ـ٨٥ـ (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) فكيف نستطيع أن نعمل بهما جميعا ، ففكرت قليلا ثم قلت بالهام من الله تعالى : قبل أن نجيب عن هذا الاعتراض يجب علينا أن نفكر في الخصومة التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين النصارى ، وفي أي شيء كانت ؟ فقال لي : قل أنت ، فقلت : كانت في

عيسى بن مريم ، فان نصارى نجران جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم واتهموه بأنه تنقص صاحبهم ، فقال : ومن صاحبكم ، قالوا عيسى بن مريم ، قال وما تنقصي له ؟ قالوا نفيت أن يكون ابن الله وقلت انه بشر كسائر البشر فناظرهم في ذلك وأقام عليهم الحجة فعاندوا وأنزل الله تعالى في شأن عيسى في سورة آل عمران ـ٥٩و٦٠ـ (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون • الحق من ربك فلا تكن من الممترين) •

فلما أصروا على العناد وزعموا أنه ابن الله وأنه ثالث ثلاثة أمره الله بمباهلتهم ، فلما خرج لمباهلتهم خافوا أن يباهلوه وتصالحوا معه ، ففي هذه الخصومة قال تعالى : (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) وقصة مجيء وفد نجران الى النبي صلى الله عليه وسلم وصلاتهم النصرانية في مسجده باذن منه

عليه الصلاة والسلام مذكورةفي كتبالحديث وكتب السير ، فقال (سميث) ولكن الاناجيل تدل على أنه ابن الله ، وأنه ثالث ثلاثـــة ، فقلت له : أنا ما قرأت الانجيل ولكني أعتقد جازما أن الانجيل حق وأنه من الله ، وما كان من الله لا يختلف فلا بد أن يكـــون موافقــا للقرآن في توحيد الله ، وعبــوديــة عيسى بن مريم ، فقال لي هذا شأنكـم يمنعكـــم التعصب عن قراءة التوراة والانجيل وأمــا أنا فان القرآن عندي بثلاث لغات ، فقلت له أما الانجيل بالعربية فلغته ركيكة لا تفهـم ، وأما بالانكليزية فأنا أدرسها لأقـــرأه بها ، فقال لي : عدني أن تقرأه وأنا أطلب لـــك نسخة من لندن تصلك بعد شهر فوعدته ، فلما وصلته النسخة كتب الي معها كتـابـا بالانجليزية جاء فيه : أسأل الله أن يعطيـك في هذا الكتاب بركات كثيرة ، فـأخـذت في قراءته واستخرجت الكلمات التي لم أفهمها

من المعاجم ثم قرأته المرة الثالثة وذكرت تلك المسائل في جزء سميته (حــواش شتى عــلى انجيل متى) ونشرت هــذا الجــزء في مجلــة الشبان المسلمين التي تصدر في البصرة كان يصدرها صديقنا الحاج طه الفياض رحمــة الله عليه ، ولما أخبرت بهذه الحواشي الامير شكيب أرسلان رحمه الله سألني عنهافقلت: ضاعت في المطبعة فتأسف كثيرا على ضياعها وأنا الآن مستعد أن أوألف حواشي مثلها أو أحسن منها ولكن الكثير من اخواننا المسلمين لا يهتمون بالدفاع عن دينهم ولا يعينون من أراد أن يدافع عنه بل يخذلونه ، ففي مثلهم ينشــــد :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي
بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانــا
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهــم
طاروا اليه زرافات ووحــــدانــا
لا يسألون أخاهم حين ينــدبهــم

في النائبات على ما قال برهـانـا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن اساءة أهل السوء احسانـا
فليت لي بهم قـوما اذا ركبـوا
شنو الاغارة فرسانا وركبانـا

ولمـا وصلني الكتـاب أجبت (سميث) بالشكر ، فلما قرأته وفهمت معنـاه كتبت اليه كتابا آخر وقلت له فيه : ان الله قـد استجاب دعاءك وأعطاني في هـذا الكتاب بركات كثيرة ولكنها تخالف ما عندك وتبطله فقد قلت لي في أثناء المناظرة كـذا وكـذا ووجدت في الكتاب في الفصل الفلاني برقـم كذا وكذا أن ما قلت غير صحيح وأن الانجيل يدل كما يدل القرآن على توحيد اللـه تعـالى وبشرية عيسى وعبوديته دلالـة في غايـة الوضوح في مواضع كثيرة عـددت له منهـا سبعة فكان ذلك آخر العهد به ٠

وأشهد لهذا القسيس الشا بأنـه كـان

مخلصا لدعوته متحمسا غاية التحمس وكنت كلما قلت له ان هذا يخالف العقل ، يقول لي ان العقل ناقص وكلام الله كامل والله يعلم مالا نعلم ، وزرته مرة في ارساليته قبل أن يصلني الكتاب فوجدته لا يأكل اللحم لا في الخلوة ولا أمام الناس فكان يأمر طباخه أن يصنع له طعاما نباتيا ويصنع لزوجته وابنه أطعمة باللحوم ، فقلت له في ذلك ، فقال لي : ان هؤلاء الوثنيين الذين أدعوهم الى الدخول في النصرانية يكرهون أكل اللحوم كراهة شديدة فأنا أتألفهم وقد تركت أكل اللحم لاجل المسيح فقلت له ولكنهم لا يرونك في دارك ، فقال ولكن لا أستطيع أن اكذبهم فأدعي أني لا آكل اللحم وأنا آكله ٠

ولذلك أثرت دعوته فيهم فرأيت معه ثلاثين رجلا بنسائهم وأطفالهم يأتمرون بأمره ، أمرهم أن يبنوا بيعة فبنوها بأيديهم مع شدة فقرهم بخلاف ذلك القسيس الذي

كان يعلمني الانكليزية في مدينـــة الكناو ، فانه لم يؤمن له أحد لانه هو نفسه لم يكن مؤمنا والاخلاص سر النجاح ولو في الباطل ، ومن جملة ما يغالط به دعاة النصرانية فــي هذا ألزمان انهم يقولون لشبـــان المسلمين الاغمار ان القرآن ضمن لنا النصر والعزة ، ففي سورة آل عمران ـ٥٥ـ (اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهـرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) .

فقد أخبرني شاب مغربي أن قسيسا فــي الرباط عنده غرف مؤثثة يسكن فيها الشبان المغاربة مجانا ليجذبهم اليه ويفتنهم في دينهم وقد قال لهم : اذا رأيتم النصارى أعزة أغنياء أقوياء سعداء غالبين في كل مكان فلا تستغربو ذلك فان ألقرآن وعدهم بذلك وذكر لهــم الآية السابقة الذكر فصدقوه ولم يوجدفيهم أحد يعرف معنى الآية فقلت له : لقد كذبكم

وخدعكم فلو كان الامر كما يقـــول لنتصر النصارى من أهل نجران ، وكان عندهم مائة وعشرون ألف مقاتل ففضلوا مصالحة النبي صلى الله عليه وسلم ودفع الجزية ، ولو كان ما يقول حقا ما انتصر النبي صلى الله عليــه وسلم في غزوة تبوك وخافه الروم وجبنــوا عن قتاله ولو كان ما يقول حقا ما انهزم الروم البيزنطيون من بلاد الشام التي يسمونهــا سورية وتركوها بعدما حكموها دهرا طويلا ولو كان مايقول حقا ماانتصر أصحاب رسول الله على أهل مصر وكانوا نصارى ، ولو كان ما يقول حقا ماانتصر المغاربة علىأهل أسبانيا وجنوب فرنسا وحكموا أسبانيا بمشاركة العرب ثمانمائة سنة ، ولو كان ما يقول حقا ما انهزم النصارى في معارك القسطنطينيــة وفتحها المسلمون ولا تزال بأيدي أبنائهمالى يومنا هذا ، ومعنى الآية (وجاعل الــذيــن اتبعوك) وهم المسلمون الموحدون لله الذين

يؤمنون بجميع رسل الله وبجميع كتب الله (فوق الذين كفروا) وهم الذين لا يؤمنون بالله أو لا يوحدونه أو يكفرون ببعض الكتب أو ببعض الرسل ، فالآية حجة للمسلمين في هذا الزمان لا لأعدائهم فتعجب ذلك الشاب وكان في غمرة فانجلت عنه وأكثر المسلمين في هذا الزمان ينشدون بلسان حالهم :

زعم العواذل أنني في غمرة
صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

والعجيب من النصارى اذا نظروا في القرآن لا ينظرون بقصد معرفة الحق البتة ٠ بل ينظرون فيه بقصد البحث عن العيوب بزعمهم فيقولون ـ مثلا ـ من أين جاء محمد بهذه القصة ؟ فلا يزالون ينقبون فان وجدوا قصة مشابهة لها في التوراة أو في الانجيل أو في التلمود فرحوا فرحا عظيما وظنوا أنهم ظفروا بضالتهم المنشودة وجزموا أنها مأخوذة من ذلك المصدر ولا يبالون بالمخالفات الكثيرة

التي تكون بين القصتين أو بين الشريعتين ٠

فمن ذلك ـ مثلا ـ قصة نـــوح فانهـم يجزمون أن القرآن أخذها من التوراة مع أنه في زمان نزولها لم يكن في مكة يهودي واحـد والاشخاص الذين كانوا يعرفون الكتابـة والقراءة كان عددهم قليلا جدا ولم يكن بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم الا العداوة والبغضاء ولم يكن النبي صلى الله عليـه وسلم يعرف قراءة ولا كتابة ، وكان أعداؤه له بالمرصاد ، فلو رأو قارئا يتردد عليـه أو رأوه يتردد على قارىء لشنعوا عليه ، وقصة نوح في التوراة محكية بأسلـــوب تفصيلي وصفت فيه السفينة طـــولها وعـــرضها وارتفاعها وقد اتخذ الملاحدة ذلك ذريعة الى الطعن في التوراة ، وقالوا ان سفينة بتلـك الصورة لا يمكن أن تستقر في البحر دقيقة واحدة ، وحكاية القرآن للقصة لم يستطيعوا أن يوردوا عليها شيئا من ذلك ٠

وهكذا اتخذوا ما في التـــوراة من وصف أجزاء الارض وجغرافيتها ذريعــة الى الطعن في صحتها ولم يجدوا في القرآن شيئا يجعلونه هدفا لتعنتهم ، ثم انك تقرأ القصة في القرآن وتقرأ مثيلتها في التوراة فتجد البون بينهما شاسعا ، تجد أسلوب القصة في القـــرآن أسلوبا ربانيا جذابا تتخلله المواعظ والانذار والبشارة بعيدا عن أساليب كــلام البشر وتجدها في التوراة بخلاف ذلك

واذا لم يجدوا للقصة القرآنيــة أثــرا في التوراة ولا في الانجيل ولا في التلمود كقصة لقمان قالوا : هذا من أساطـــير العـــرب وخرافاتهم ،أما اذاجاءوا الى التوراة والانجيل فانهم يكتبون عليها بماء الــذهب (الكتاب المقدس) حتى يجعلوا قارئها أمـام الامــــر الواقع ، ولكن ذلك كله لا يروج على أعــداء الكنيسة فانهم ينتقـــدون كتب اليهـــود والنصارى انتقادا مرا .

كنت في جامعة (بن) طالبا ومحاضرا وكان هنالك طالب يسمى (يعقوبي) (يكـوبي) وكان نصف يهودي وهذا اصطلاح هتلـري يطلق على من كان أحد أبويه يهوديا والثاني ألمانيا ،وكان لانصاف اليهود فيوقت تضييق الخناق على اليهود من الحرية ما لم يكن لليهود فكانت الاحكام المفروضة على اليهود ، ومنها عدم الدراسة في المدارس الالمانيـــة لا يجب تطبيقها عليهم الا أن معظم مديري المدارس كانوا يطبقونها عليهم بغضا واحتقـــارا لا قانونا ، والمتساهلون منهم يقبلونهم ، وكان رئيس القسم الشرقي من جامعة (بن) من المتساهلين ، ولم أبدأ بالعداوة هذا الشخص فكنت أسمح له أن يحضر دروسي العربية والاسلامية ، ولكنه هو بدأ بالعداوة لا لشيء الا لكوني عربيا ، وكان مدير القسم بالنيابة أستاذا كاثوليكيا اسمه (هفنينك) وكـان يبغضني لامرين أحدهما : أننا اختلفنا عـلى

غرفة الدراسة ، فحكم لي المدير السابق عليه فأسرها في نفسه . والثاني : أنه هو أستاذ العبرانية ، ولكن الطالب يعقوبي هو أستاذه لانه كان يعرف العبرانية أحسن منه لانه نصف يهودي ، وهناك أمر ثالث وهو أن الكاثوليكيين في زمان حكم الناتى كانوا متضامنين مع اليهود ، فأحس يعقوبي بأنه قادر على أن يؤذيني فأخذ يؤذيني ومن جملة ذلك أننا كنا يوما نطالع في قسم خزانة الكتب فقام يعقوبي ـ وأخذ القرآن ووضعه على منضدة وقال للحاضرين ـ : أنظروا هذا كلام الله وأخذ يضحك ليضحكوا معه فلم يستفز أحد منهم ولم يضحك معه أحد .

قمت أنا وأخذت مجموعة التورات والانجيل ، وقد كتب عليها باللغة الالمانية ما معناه (الكتاب المقدس) أما القرآن فكان مكتوبا عليه (القرآن لمحمد) ووضعت مجموعة التوراة والانجيل الى جانب القرآن

ثم التفت اليه وقلت : أيها اليهودي ان كان هذا كـلام اللـــه ـ وأشرت الى التـــوراة والانجيل ـ فهذا أيضا كلام الله ، ـ وأشرت الى القرآن ـ ونحن لسنا أطفالا ولا عـــوام جهالا ، فنحن طلاب في الجامعات نتعلم طرق البحث والتحقيق ، فهذان الكتابان جاء بهما رجلان من البشر وهذا كذلك فلماذا يجب أن يكون هذان الكتابان مقطوعا بأنهما كـلام الله ، وهذا الكتاب يكون مقطوعا بأنه كذب على الله ، والصورة التي جاءتنا بهـا الكتب واحدة ، فهذا منطق عجائز ، فقال لي يعقوبي أعرف ما تقول ، أنا نصراني (يروتستانتي) ولست يهوديا بأي وجه من الـوجـوه ٠ ان القانون سيعاقبك على هذه التهمـة ، فقلت له : ان لم تكن أنت يهوديا فأنا يهـــودي ، فضحك الحاضرون ، ولم ينجح في اضحاكهم علي بل دارت عليه الدائرة وقد انتقم اللـه منه من هفنينك شر انتقام ، وكان يسكن في

كولونيا فنزلت على بيته قنبلة من قنابل الانكليز وهدمته عليه ومات أهل الدار كلهم ، واذا قلنا الدار في المدن الكبرى ، فكما نقول قرية في بلادنا ، فان سكانها يعدون بالمئات ، ومن جملة عدوانه علي أنه حين تولى ادارة القسم رفض رسالة الدكتوراه التي اقترحها علي سلفه واشتغلت فيها أكثر من سنة تحت ارشاده ، فجاء هنفينك وادعى أن موضوع الرسالة قد ألف فيه عالم انكليزي في كيمبرج ، فقلت له : ليس لي علم بتأليف ذلك الانكليزي ، ولم يؤلفه باللغة الالمانية التي ألفت أنا كتابي بها ، وكل أساتذة القسم الشرقي أنكروا عليه ذلك ، وبينما أنا كذلك اذ جاءتني دعوة من الاذاعة الالمانية في (برلين) بواسطة مدير اذاعة كولونيا للاستشارة في تأسيس اذاعة عربية المانية ، فنقلت الى برلين طالبا ومحاضرا ومصححا للاذاعة ، أو مرجعا لغويا ـ كما

يسمى بالالمانية ـ وأتممت دراستي على يد الاستاذ هارتمن ، وكفاني الله شر هفنينك وصاحبه يعقوبي .

فهذا من تعصب أهل الاديان بعضهم على بعض ، ولا تزال عندي أحاديث منه طريفة ، ومنها أنه جاءني أحد الاخوان الشباب الذين يحضرون دروس وعظي ، وهو مهندس في مديرية الاوقاف ببغداد ـ أظن أن اسمه تحسين ـ واسم أبيه عبد القادر بيقين وكان ذلك سنة ٥٥ أو ١٩٥٦ م ـ على حسب التقدير والظن ـ وقال لي : أن والده موظف في دائرة من دوائر الحكومة ومعه نصراني في تلك الدائرة ، فكان دائما يطعن في الاسلام ليغيظ عبد القادر ، وفي يوم من الايام قال له : مارأيت طائفة أقل عقلا منكم معشر المسلمين ، قال له : وكيف ذلك ، فقال : أنتم تزعمون أن المسيح لم يقتله اليهود ، واليهود مجمعون على أنهم قتلوه ، ونحن معاشر النصارى على

اختلاف طوائفنا مجمعون على ذلك ، وجميع الطوائف في الدنيا يسلمون هذا ويعتقدونه لانه خبر متواتر وأنتم تجحدونـه ، فأنتـم كالذي ينطح الجدار برأسه ، فلم يجد أبـو تحسين ما يجيبه به ورجع الى بيتـه حـزينا مغموما ، ولما قدم له العشاء امتنع من الاكل، وحكى لاهل بيتـه الحكايـة فالتمس مني تحسين أن أعطيه دليلا على كـذب النصارى واليهود وصدق المسلمين من الانجيل الـذي يزعمون أنهم يؤمنون به ، فأجبته بالمسائل التاليـة :

ففي انجيل متى الفصل ـ٢٦ـ و ٢٧ـ أن أحبار اليهود حكموا على عيسى بن مريم بأنه كفر وهو يستحق القتل في شريعة التـوراة ، وحكايتهم لقصة قتله تشهد على دعواهـم بالبطلان ويتلخص ذلك في مسائل يجب على النصراني الطاعن في الاسلام أن يجيب عنها :

(١) هل كان الذين قبضوا عـلى عيسى

ـ بزعمكم ـ يعرفون شخصه أولا يعرفونه ؟ انجيل متى يشهد بأنهم لم يكونوا يعرفونه

(٢) هل كان ذلك ليلا أو نهارا ؟ يقول انجيل متى انه كان ليلا ٠

(٣) من هو الذي دلهم عليه ؟ يقول انجيل متى انه تلميذه الثاني عشر (يهوذ الاسخريوطي) ٠

(٤) هل دلهم على ذلك مجانا أو بجعل جعلوه له ؟ يقول انجيل متى انه دلهم عليه بجعل جعلوه له ومقداره ثلاثون درهما من الفضة

(٥) كيف كانت حال المسيح في تلك الليلة؟ يقول انجيل متى انه كان مضطربا خائفا يدعو الله ويقول في دعائه : اللهم ان كنت تقدر أن تصرف عني هذه الكأس فاصرفها ، وهذا مستحيل أن يقوله مؤمن بالله ، فضلا عن نبي الله ، لان المؤمنين يعتقدون أن الله على كل شيء قدير ٠

(٦) كيف كانت حال تلاميذه الاحد عشر ؟

يقول انجيل متى ان النوم غلبهم في تلك الليلة مع ما كان فيه أستاذهم بزعمكم من الفزع .

(٧) هل كان عيسى عليه السلام راضيا عن حالهم ؟ يقول انجيل متى انه لم يكن راضيا وكان يجيء اليهم فيوقضهم ويقول قوموا أدعوا الله وأسألوه العافية من البلاء والفتن ، ثم يجيء مرة أخرى فيجدهم نائمين فيوقضهم ويقول لهم مثل ذلك ، وهذه الصفة لا تنطبق على التلاميذ الابرار وان كانوا تلاميذ عالم من العلماء الصالحين فكيف بتلاميذ المسيح عليه السلام .

(٨) هل نصروه حين قبض الاوباش عليه ؟ يقول انجيل متى انهم خذلوه وهربوا .

(٩) هل كان عيسى يحسن الظن بتلاميذه في تلك الليلة ؟ يقول انجيل متى انه أخبرهم أنهم سيخذلونه ولما قال له أحدهم ـ وهو بطرس ـ أنا لا أتبرأ منك ولو اضطررت أن

أموت قال له المسيح : انك ستتبرأ مني قبل أن يصيح الديك في هذه الليلة ثلاث مرات ، قال انجيل متى وكذلك وقع ٠

(١٠) كيف أخذه أولئك الاوباش ؟ يقول انجيل متى انهم جاءوه بسيوف وعصي وبعدما دلهم عليه يهوذا الاسخريوطي قبضوا عليه وأخذوه الى رئيس الاحبار فحكم عليه بالموت ووافقه أحبار اليهود فأخذه الاوباش وبصقوا في وجهه ولكموه وبعد ذلك جردوه من ثيابه وألبسوه ثوبا أحمر ووضعوا على رأسه اكليلا من شوك وأخذوا يستهزئون به ، وقالوا له أنت ملك اسرائيل بزعمك وأهانوه أشد الاهانة ٠

(١١) من الذي بت في حكم قتله ؟ يقول انجيل متى انه بلاطوس اليوناني الرومي الذي كان حاكما على فلسطين في ذلك الزمان

(١٢) لما جاء الاوباش الى الحاكم بذلك الرجل وأخبروه بأن أحبار اليهود حكموا

عليه حكم التوراة بالقتل مصلوبا، هل صدقهم في قولهم بدون بحث ؟ يقول انجيل متى انه لم يصدقهم بل سأل ذلك الرجل أصحيح ما يقول هؤلاء فسكت ولم يجب بشيء ، وكرر عليه السؤال فاستمر على الصمت ، وسكت عن قول الحق وكان الواجب عليه ـ ولو لم يكن نبيا ولا رسولا ـ أن يصرح بالحق وينفي ما زعمه اليهود ، وأرسلت زوجته اليه وقالت اياك أن توافقهم على قتل ذلك الرجل الصالح فاني تألمت اليوم في حلم بسببه ، وقد قال الانجيل انه كان يخطب في جموع اليهود الخطب الطويلة ويقرعهم ويوبخهم توبيخا يبلغ حد الشتم والقذف فما باله يسكت اليوم ، وقد سأله الحاكم وهو يريد نصرة الحق .

(١٣) كيف كان صلبه بزعمهم ؟ يقول انجيل متى انهم صلبوه بين لصين وكانا

يشتمانه ويقولان له ان كنت صادقا فخلص نفسك .

(١٤) وهي الطامة الكبرى ، ماذا قال وهو مصلوب بزعمكم ؟ يقول انجيل متى انهم سمعوه يقول بصوت عال (ايلي ايلي لما شبقتني) وهذا اللفظ سرياني ومعناه : الهي الهي لماذا خذلتني ، وهذا كفر باجماع أهل الملل ، ومن نسبه الى نبي فهو كافر بجميع الاديان السماوية .

فذهب تحسين الى أبيه وسلم له الاسئلة وقال له : يقول لك الدكتور الهلالي ـ أستاذنا ـ قل له ان كنت صادقا فيما تدعي فأجب عن هذه الاسئلة جوابا يقبله العقل ويرضاه المنصفون ، وان كنت تريد مناظرة أطول من هذه فهلم اليه ، فأخذ أبو تحسين الاسئلة بعدما قرأها هو وابنه مرارا فرحا مسرورا وذهب الى النصراني وناوله اياها ، فلما قرأها سقط في يده وأظهر الندم ووعد

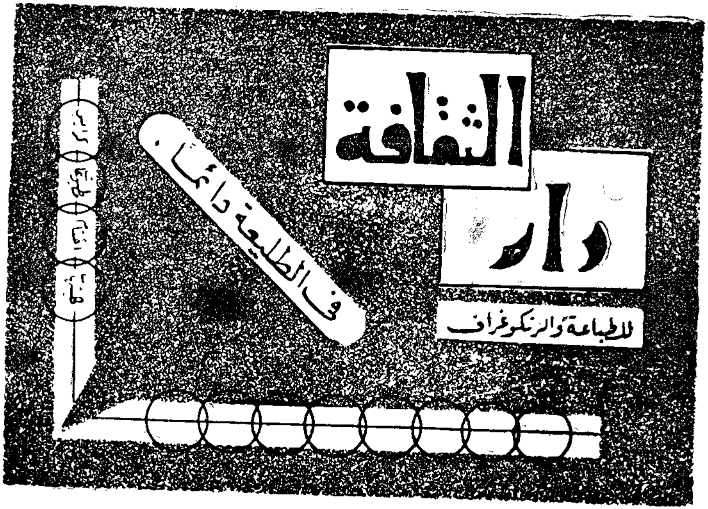
عبد القادر أنه لن يعود الى الطعن في الاسلام أبـــدا .

هذا ما علق ببالي مما كنت قرأته في انجيل متى منذ زمان طويل .

والحمد لله والصلاة والسلام على رســول الله وعلى آله وعلى جميع من اتبعهم باحسان الى يوم الدين .

تم طبعه في مطابع دار الثقافة

في عام ١٣٩٣ هـ


دار
الثقافة
للطباعة والزنكوغراف
في الطليعة دائماً
كتب
أقلام
كراريس